أن الفتوة تشكل نظاماً إسلامياً يوازى الفروسية عند الأوربيين حتى أن فون همر Von Hammer ذهب إلى أن أصل الفروسية الأوروبية إسلامى[1]

وفى الفترة التى تلت الفتح المغولى مباشرة نجد الفتوة تميل أكثر فأكثر إلى الاتصال بالطرائق الصوفية وبأصناف الحرف بواسطة رابطة العضوية (أى الانتماء إليها فى نفس الوقت) . بدأ هذا التطور فى الأناضول ، وانتشر بسرعة فى أنحاء العالم الإسلامى ، ولم يمض زمن طويل حتى أصبحت كلتا صنف وفتوة ذاتى مدلول واحد . أما كيف بدأ هذا الامتزاج ، وعلاقة هذه التشكيلات المختلفة ، فأمر غامض لم يوضح بصورة كافية حتى الآن[2]

يلاحظ تشنر Taeschner ثلاثة أدوار فى تاريخ الفتوة ، وهى ثلاث خطوات لانحلال اجتماعى مطرد : فيقول إن حركة الفتوة بدأت كحركة فروسية أرستقراطية ، ثم تحولت فصارت حركة الطبقة المتوسطة فى القرن الثالث عشر ، وأخيراً انحطت فى القرن الخامس عشر إلى أكثر من ذلك وأصبحت حركة العوام . وهكذا اندمج الفتيان فى أصناف الحرف . ومن جهة أخرى يقول تورننج أن الصوفيين وأصحاب الحرف قلدوا جميات الفتوة مقتبسين شعائرها ومثلها العليا وأخيراً اسمها . وأكثر هذه التعليلات إقناعاً هو تعليل (كوردلفسكى) الذى يتفق مع كوبرولو[3] على أن زمن اندماج مجموعات الفتوة بالأصناف هو فى القرن الثالث عشر فى الأناضول، ويربط ذلك بنظام هام هو نظام (أخيان روم) أو (أخوة الأناضول) . فقد ظهرت أخوة فى أناضوليا لأول مرة فى السنوات التى تلت الفتح المغولى مباشرة ، إذ كانت الفترة فترة فوضى واضطراب عام ؛ فالمغول الذين دحروا الدولة السلجوقية عجزوا عن التعويض عنها، وبذا اضطربت الإدارة. وفى هذا الدور الحرج تظهر الأخوة كمؤسسة قومية واسعة لها الرغبة والقدرة على التنظيم .

(يتبع) عبد العزيز الدورى

(١) لاحظ Von Hammer : Sur La Chevalué des Arabes, J. A. 1899, P.5

(٢) لاحظ Tœscher—Die Islamische Futuwwotbündr. Z. D. M. G. 1933, P. 6

(٣) كوبرولو Les ourgines 76-8, 110—112

١٤ . ٤٧

من شعر الربيع

عَينـــاكِ ...!

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

عَيْنَاكِ لِي قَبَسَانِ فِي زَمَنِي الْمُحَيِّرِ هَادِيَانْ
وَشُعَاعَتَانِ مِنَ الطُّهْـ ـرَةِ وَالْفَدَاسَةِ وَالْحَنَانْ
وَسَكِينَتَانِ بِوَاحَةٍ سَجْـــرَاءَ عَـذْرَاءِ الْجَنَانْ
سِرُّ الْإِلٰهِ بِهَا خَـفِيُّ الْغَيْبِ مَعْصُومُ اللِّسَانْ
أَشْجَتْ خَيَالِيَ مِنْهُمَا فِي وَحْدَتِي أُنْشُودَتَانْ
تَتَهَادَلَانِ عَلَى رَبَابِ لَمْ تُلَامِسْـهُ بَنَانْ
عَيْنَـاكِ لَوْ تَدْرِينَ فِي صَحْرَاءِ عُمْرِيَ وَاحَتَانْ
وَبُحَـيْرَتَانِ بِعَالَمٍ فَوْ قَ الْغُيُوبِ رَهِيبَتَانْ
بِالْحُبِّ وَالْأَنْغَامِ وَالْـ ـخَمْرِ الْمُقَدَّسِ تَخْفُقَانْ
اللهُ أَكْبَرُ ! بَلْ هُمَا مِنْ نَاىِ رَبِّكِ هَمْسَتَانْ
وَهُمَا لِرُوحِي فِي السَّنَا الْـ جَانِي لَدَيْكِ عِبَادَتَانْ
بَلْ نَشْوَتَانِ ، وَسَجْدَتَا نِ ، وَفِتْنَتَانِ ، وَتَوْبَتَانْ
وَهُمَا لِحُـبِّيَ لَوْ عَلِمْـ ـتِ مِنَ الضِّيَاءِ تَمِيمَتَانْ
تَقِيَانِ قَلْبِيَ مِنْ أَذَى الدُّنْيَا وَشَعْوَذَةِ الزَّمَانْ
... ...
عَيْنَاكِ عَبْـدُ سَنَاهُمَا يَفْنَى وَلَا ...
... لَا تَدْرِيَانْ !

(ديوان المارف) محمود حسن اسماعيل

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية :

السنة الأولى فى مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و٧٠ قرشا عن كل سنة من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فى مجلدين .

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشا فى الخارج عن كل مجلد

صاحب الديوان الظريف

أما أنه ظريف حقاً فذلك ما يتبين من هذا الحديث الذى أسوقه عنه، ولكم تمنيت لو كان أصحاب الديوان جميعاً على شاكلة هذا الشاب الذى ساقتنى الظروف السعيدة إليه ...

ولن يتسع المجال إذا أردت أن ألم بنواحى ظرفه جميعها ولذلك فحسبى أن أقصر الحديث على آخر لقاء كان بينى وبينه

دخلت حجرة عمله فما رآنى مقبلاً عليه حتى خف للقائى ضاحكاً مرحباً يمد لمصافحتى يمناه ويقدم إلىّ كرسياً بيسراه على صورة لفتت أنظار الكثيرين ممن حوله من أصحاب الديوان ، وأمثال هؤلاء لن يلفت أنظارهم الرصينة المنكبة على حل المعضلات إلا أمر غير مألوف

وجلست ترمقنى العيون برهة وحرت أول الأمر كيف أبدأ الكلام وما جئت زائراً ، ولا أنا بصديق لهذا الذى أسرنى ظرفه ، وما كانت معرفتى به إلا من كثرة ترددى عليه فى أعمالى عنده .

وبدأ هو الكلام فقال : « قهوة والا قرفة والا شاى يا سعادة البيه ؟ » ؛ واعتذرت شاكراً فما زاده اعتذارى إلا إلحاحاً بل وتوسلاً أن أتنازل فآخذ شيئاً مما ذكر ، ولست أدرى ماذا كان يبلغ من قوة إلحاحه لو تبين على وجهى أمارة القبول ، على أنى والحق يقال لم أر فى وجهه إلا أنه جاد ، وإلا فبماذا يفسر هذا التوسل الذى ما فتر والذى لم ينته فى الوقت نفسه آخر الأمر إلى شىء ؟

وابتسمت وتواضعت وتصنعت الحياء وقلت فى رفق يتناسب مع ما لقيت من ظرف : «لعلك انتهيت من مسألتى» فقال : « أيوه يا فندم قربنا ... حالاً إن شاء الله ، الحكاية كترة عمل والمدير كل ساعة يطلبنا ، وكل عام وأنت بخير إجازة المولد ... على كل حال كن مطمئن احنا محاسيب يا فندم ... »

وجاء أحد السعاة فاستدعاه لمقابلة المدير فنظر إلىّ كأنما يقول هكذا لا بنى المدير عن طلبه ، وأخذ فى يده مجموعة من الأوراق كان ينظر إليها فى اهتمام واستأذننى وهو يرجو أن يعود فلا يجدنى .

وجلست أنا متعجباً حائراً كيف يكون هذا الذى أرجو منه حل مسألتى محسوباً لى ، وهو لا يعرفنى كما ذكرت إلا من ترددى عليه ! ؟ وتنازعنى الضحك والغضب ، فأما الضحك فمن هذه الحركات «البهلوانية» المحكمة، وأما الغضب فلأنه يظن أنى لست أفهم أنه يسخر منى ، دع عنك إهمال أمرى الذى استمهلنى آخر مرة جئته فيها من أجله ثلاثة أيام ، فما عدت إليه منذ ذلك اليوم إلا بعد ثلاثة أسابيع ، ومع ذلك فهو يقول « قربنا » والمسألة فى غير مبالغة لا تستغرق منه أكثر من ربع الساعة !

وعاد فوجدنى لا أزال فى موضعى ، فتلاقى فى وجهه التجهم والابتسام فى وقت واحد ، وهو من كثرة مرانه يعرف كيف يبتسم بناحية من وجهه ، ويتجهم بالناحية الأخرى ... ثم غلبت ابتسامته تجهمه فى أسرع من ارتداد الطرف ، ونظر إلى من ابتسم إليه من أصحاب الديوان ابتسامة فهمت منها أنهم يضحكون منه لأنه لم يستطع أن يصرفنى أو يضحكون منى أنى على الرغم من ألاعيبه بقيت ثابتاً لا أتحول

وجاء شخص غيرى رقيق الحال يلبس جلباباً عليه معطف يسأله هو أيضاً عن مسألته فقال فى نفس ظرفه وأدبه : « حاضر يا عم إن شاء الله تجينا بعد يومين تكون مبسوط » ولما شكا الرجل وغضب قال له باسماً : « حلمك يا بويا إن الله مع الصابرين قلت لك إن شاء الله تكون مسرور » ولما أدار الرجل ظهره لينصرف نظرت إلى صاحب الديوان، فإذا به يخرج له لسانه ، ويبتسم ابتسامة عريضة وضحك من رآه من أصحاب الديوان ، وكثيراً ما أضحكهم بمثل هذه الأمور كما قرأت ذلك على وجوههم

واتجه إلىّ قائلاً : « شرفت يا بيه » وفهمت معناها فليست إلا مطالبة بالانصراف ؛ وهممت أن أنصرف ، وقد تأكد لى ما سبق أن عرفته من أن الأوراق عند أصحاب الدواوين قسمان ، قسم يعلم به المدير أو الرئيس ، وهذا هو الذى ينجز ويعد ، وقسم لا علم للرئيس به ، وهذا لا يتناوله أصحاب الديوان ولو بمجرد القراءة ، وعلى مصالح الناس ألف سلام !

وسلمت فنهض يصافحنى فى ظرفه ولباقته ، وهو يقول : « ما تأخذناش يا بيه ، والله الواحد خجلان ... حالاً إن شاء الله » ومضيت ولكنى التفت عند الباب أنظر إليه فلست أدرى لم ألقى فى روعى أنه ظل يخرج لى لسانه منذ ودعته ... « عين »